الصَّلاةُ على النَّبي ﷺ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾. (سورة الأحزاب)

التحليل اللفظي

يصلّون: الصلاة في اللغة معناها: الدعاء والاستغفار، ومنه قوله تعالى: ﴿وصلِّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم﴾، أي: أدع لهم بالمغفرة والرحمة، قال الأعشى:

عليكِ مثلَ الذي صلّيتِ فاغتمضي نوماً فإنّ لجنب المرء مضطجعاً

أي لك من الدعاء مثل ما دعوتِ لي به.

وسميت الصلاة المفروضة صلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار، وتأتي الصلاة بمعنى الرحمة ومنه قوله ﷺ: اللهم صلّ على آل أبي أوفى، قال الأزهري: هي بمعنى الرحمة. أي ارحم آل أبي أوفى، وقال الشاعر:

صلّى على عزّة الرحمنُ وابنتِها ليلى وصلّى على جاراتها الأخر[1]

(١) البيت ذكره في لسان العرب، ونسبه إلى الراعي، وانظر اللسان ــ مادة (صلى).

قال ابن عباس: أراد أنّ الله تعالى يرحمه، والملائكة يدعون له ويبرّكون).

وقال أبو العالية: (صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاتهم دعاؤهم له»[1].

النبي: **قال الجوهري**: والنبي: المخبر عن الله عز وجلّ، لأنه أنبأ عنه، وجمعه أنبياء، وفي النهاية: يجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه.

قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلّا ويقول تنبّأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذريّة والبريّة، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف، ثم قال: والهمز في (النبيّ) لغة رديئة، واشتقاقه من نبأ وأنبأ أي أخبر[2].

وجمع النبيء: أنْبِئاء ونُبَآء.

قال ابن مرداس:

يا خاتم النُبَآء إنّك مرسلٌ ... بالخَيْرِ كلَ هُدى السبيل هُداكا[3]

إنّ الإلٰهَ ثَنَى عليك محبةً ... في خلقِهِ ومحمّداً أسماكا

أقول: كل ما ورد في القرآن من خطاب للنبي أو الرسول فإنما يقصد به محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

يؤذون الله: إيذاء الله: وصفُه بما لا يليق به جلّ وعلا كقول اليهود: (يد الله مغلولة)، و(عزير ابن الله)، وقول النصارى: المسيح ابن الله وإن الله ثالث ثلاثة، وقول كفار قريش: الملائكة بنات الله، وسائر ما لا يرضي الله عز وجل من الكفر والعصيان.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٦/٧٩٩.

(٢) لسان العرب ـ مادة (نبأ).

(٣) نفس المرجع السابق.

وإيذاء الرسول كقولهم عنه: مجنون، شاعر، ساحر، كذّاب، أو إلحاق الأذى به كشجّ وجهه الشريف، وكسر رباعيته في أُحد، وأمثال ذلك من الأذى الحسي أو الأذى المعنوي، الذي كان يُلْحقه به المنافقون والكفار.

لعنهم الله: اللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجلّ، قال تعالى: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلاً﴾.

بهتاناً: البهتان: الافتراء والكذب الواضح، وهو من البهت بمعنى التحيّر، قال في اللسان: بهت الرجلَ يبهتُه بهتاناً، وباهته: استقبله بأمرٍ يقذفه به وهو منه بريء، والبهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه[1].

مبيناً: بيناً ظاهراً لأنه واضح الكذب والبهتان، تقول: بان الشيء، وبان الأمر، وبان الحق، إذا ظهر جلياً واتضح، قال الشاعر:

فبان للعقل أن العلم سيّدُه ... فقبّل العقل رأس العلم وانصرفا

وتسمّى البيّنة لأنها تكشف الحق وتظهره.

المعنى الإجمالي

يخبر المولى جلّ وعلا بما ناله الرسول الكريم، من جاهٍ عظيم، ومنزلة سامية، ومكانة رفيعة عند الله تعالى، وما له من السيادة والمقام المحمود في الملأ الأعلى، وما خصّه الله تعالى به من الثناء العاطر، والذكر الحسن، فيقول الله تعالى ما معناه:

«إن الله تعالى يرحم نبيه، ويعظم شأنه، ويرفع مقامه، وملائكته الأبرار، وجنده الأطهار، يدعون للنبي عليه السلام ويستغفرون له، ويطلبون من الله أن يبارك ويمجّد عبده ونبيّه محمداً ﷺ، ويُنيله أعلى المراتب، ويُظْهر دينه على جميع الأديان، ويُجْزل له الأجر والثواب، على ما قدّم لأمته من خير عميم، وفضل جسيم». . . فيا أيها المؤمنون: صلّوا أنتم عليه، وعظّموا أمره، واتبعوا شرعه،

---

(1) انظر لسان العرب، والقاموس المحيط ـ مادة (بهت).

وأكثروا من الصلاة عليه والتسليم، فحقه عليكم عظيم، ومهما فعلتم فلن تؤدوه حقه، فقد كان المنقذ لكم من الضلالة إلى الهدى، وبه أخرجكم الله من الظلمات إلى النور ﴿هو الذي ينزّل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور، وإنّ الله بكم لرؤوف رحيم﴾، فقولوا كلما ذكر اسمه الشريف: اللهم صل على محمد وسلّم تسليماً كثيراً؛ وادعوا الله أن يجزيه عنكم خير الجزاء.

ثم أخبر تعالى أن الذين يؤذون الله ورسوله قد استحقوا غضب الله ولعنته عليهم في دنياهم وآخرتهم، وأنّ الله أعدّ لهم عذاباً شديداً لا يُدْرك كنهه ولا يُعْرف هوله، وكذلك الذين آذوا المؤمنين والمؤمنات، فنسبوا إليهم ما لم يفعلوه، واتهموهم بالكذب، والزور، والبهتان، وتقوّلوا على ألسنتهم ما لم يقولوه، هؤلاء الذين فعلوا ذلك لهم أيضاً عذاب أليم في الدنيا والآخرة جزاء ما اقترفوا من سيّىء الأعمال.

وجه الارتباط بالآيات السابقة

في الآيات الكريمة السابقة كان الحديث عن حرمة دخول بيوت النبي وعن حرمة نكاح أزواجه الطاهرات، وقد بيّن تعالى فيها أن شأن المؤمنين ألا تكون منهم أذية للرسول عليه الصلاة والسلام، لما له عليهم من حق عظيم، وفي هذا توجيه وإرشاد إلى تكريمه ﷺ وحياطة لمقامه الشريف، وهنا بيّن تعالى أن الله يكرّم نبيّه ويرحمه ويعلي شأنه، وملائكته كذلك، فكيف لا يكرّمه المؤمنون مع أن الله يصلّي عليه؟ وهو لا يستحق إلا كلّ تكريم وتمجيد، فكأنه قيل لهم: لا ينبغي لكم أن تؤذوه، فإن الله يصلّي عليه وملائكته، فهذا وجه الارتباط والله تعالى أعلم.

وجوه القراءات

قرأ الجمهور (إنّ اللّهَ وملائكتَه) بنصب (الملائكة) عطفاً على لفظ الجلالة، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو (وملائكتُه) بالرفع ويكون الخبر محذوفاً تقديره: إنّ الله يصلي، وملائكتُه يصلّون[1].

(١) انظر الألوسي، والبحر المحيط، وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٩٨.

وجـــوه الإعْراب

أولاً: قوله تعالى: ﴿يصلون على النبي﴾ الجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنّ).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وسلّموا تسليماً﴾ (سلّموا) أمر، و(تسليماً) مفعول مطلق منصوب.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله﴾ اسم الموصول اسم (إنّ) والخبر جملة (لعنهم الله).

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى: قوله تعالى: ﴿إنّ الله وملائكته يصلون﴾.

ورد ذكر الثناء على الرسول ﷺ بهذه الصيغة، فجاء الخبر مؤكداً بـ (إنّ) اهتماماً به، وجيء بالجملة إسمية لإفادة الدوام، وكانت الجملة إسميّة في صدرها، (إنّ الله) فعلية في عجزها (يصلّون) للإشارة إلى أن هذا الثناء من الله تعالى، والتمجيد الدائم، يتجدّد وقتاً فوقتاً على الدوام، فتدبّر هذا السرّ الدقيق.

اللطيفة الثانية: قد يقول قائل إذا صلّى الله وملائكته عليه فأي حاجة إلى صلاتنا عليه؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلاّ فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه عليه السلام، ليثيبنا الله تعالى عليه، ولهذا قال عليه السلام: «من صلّى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً»، فالغرضُ هو رفع قدره، وتكريم أمته بتضعيف الأجر بالصلاة عليه، فصلوات ربي وسلامه عليه.

اللطيفة الثالثة: قال الإمام الفخر: الصلاة الدعاء، يقال في اللغة صلّى عليه: أي دعا له، وهذا المعنى غير معقول في حقّ الله تعالى، فإنه لا يدعو له، لأنّ الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث، والجوابُ: أن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معاً، وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظٍ جائز، وهذا مذهب

الشافعي رحمه الله، فالصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، وهما يشتركان في العناية بحال المرحوم، والمستغفر له، والمراد هو القدر المشترك[1].

اللطيفة الرابعة: أمرنا الله بالصلاة على نبيه المصطفى ﷺ، وكان يكفي أن نقول صلينا عليه أو يقول الإنسان: أصلي عليه، فلماذا نقول عند الصلاة عليه: اللهم صلِّ على محمد؟

والجواب: أنَّ الله لما أمرنا بالصلاة عليه، ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك، أحلناه على الله تعالى، وقلنا: اللهم صلِّ أنت على محمد، لأنك أعلم بما يليق به، فنحن عاجزون عن توفيته حقه، وقاصرون عن معرفة الثناء الذي يليق بقدره، وقد أوْكَلْنا الأمر إليك، فتدبر سرَّ هذه الجملة (اللهم صل على محمد) فإنه نفيس ودقيق.

اللطيفة الخامسة: قال بعض العلماء: معنى قولنا: اللهم صل على محمد أي عظِّمْه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وإعطائه المقام المحمود.

فضائل الصلاة على النبي ﷺ

أولاً: عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا إنّا لنرى البشرى في وجهك!! فقال: إنه أتاني الملك فقال يا محمد: إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلّم عليك أحد إلا سلّمت عليه عشراً...؟[2]

ثانياً: وقال ﷺ: «إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً»[3].

---

(١) الفخر الرازي ٦/٧٩٦.

(٢) رواه النسائي في السهو ٣/٥٠، وأحمد في المسند ٤/٢٩، والحاكم وصحّحه ٢/٤٢٠، ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته، وانظر الفيض ١/١٠٤.

(٣) رواه الترمذي في الصلاة برقم (٤٨٤) وحسّنه، وانظر جامع الأصول ٤/٤٠٦.

ثالثاً: وقال ﷺ: «البخيلُ الذي من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ»[1]...

اللهمّ اجعل صلواتك، ورحمتك، وبركاتك، على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، إنك سميع مجيب الدعاء[2].

الأحكام الشرعية

الحكم الأول: ما هي صيغة الصلاة والتسليم على النبي عليه السلام؟

صيغة الصلاة على النبي ﷺ وردت فيها طرق كثيرة من السنة النبوية المطهَّرة، وقد ذكرت فيها صور مختلفة عن كيفية الصلاة عليه من المؤمنين، واختلافُها يشعر بأن الغرض ليس تحديد (كيفية خاصة) وإنما هي ألوان من التعظيم والثناء على سيد الأنبياء عليه السلام، وسنقتصر على بعض ما صحّ من هذه الكيفيات، لأنَّ استيعابها يطول، فنقول ومن الله نستمد العون:

أولاً: روى الشيخان عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله: أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟.

قال قل: «اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[3].

ثانياً: وروى مالك وأحمد والشيخان عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ قولوا: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٤٠)، وقال: حسن غريب وأخرجه أحمد والنسائي، والطبراني في الكبير، وابن حبان في صحيحه، وانظر جامع الأصول ٤/٤٠٦.

(٢) اقرأ كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله، فقد أجاد فيه وأفاد.

(٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات، وانظر فتح الباري ١١/١٥٢.

وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

ثالثاً: وأخرج الجماعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله: هذا السلام عليك قد علمناه فكيف الصلاة عليك؟ فقال قولوا: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد»[2].

رابعاً: وروى مسلم والترمذي والنسائي عن أبي مسعود البدري أنه قال: أتانا النبي ﷺ ونحن في مجلس (سعد بن عُبادة) فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم»[3].

وفي بعض رواياته: «اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد».

وهناك روايات أخرى دون هذه في الصحة وتخالفها بالزيادة والنقص في مواضع كثيرة.

وما دام المراد تعظيم النبي ﷺ فأي عبارة تكون واردة من طريق صحيح كان لك أن تأخذ بها.

وأما التسليم فصيغته معروفة وهي أن يقول المؤمنون: السلام عليك يا رسول الله.

---

(1) رواه الستة إلا الترمذي، ولفظ البخاري: قلنا يا رسول الله: هذا السلام عليك، فكيف نصلي...؟» وذكر الحديث. وانظر جامع الأصول ٤/٤٠٤.

(2) رواه البخاري ١١/١٤١ في الدعوات، والنسائي ٣/٤٩ في السهو، وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٤/٤٠٣.

(3) رواه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٥)، ومالك في الموطأ ١/١٦٥، وأبو داود برقم (٩٨٠)، والترمذي برقم (٣٢١٨)، والنسائي ٣/٤٥.

وفي التشهد يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

ومعنى التسليم: الدعاء بالسلامة من جميع البلايا والآفات والأسقام، وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: الانقياد وعدم المخالفة أي سلّموا لما يأمركم به والله أعلم.

الحكم الثاني: ما معنى صلاة الله والملائكة على النبي عليه السلام؟

تقدّم معنا أن الصلاة في اللغة تأتي بمعنى (الدعاء) وتأتي بمعنى (الرحمة) وتأتي بمعنى (التمجيد والثناء) ومن الأخير قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصلاة من الله تعالى على نبيه معناها تمجيده والثناء عليه، وإلى هذا ذهب البخاري وطائفة من العلماء وهو الأظهر.

وقال آخرون: المراد بالصلاة على النبي رحمته ومغفرته، وإلى هذا ذهب الحسن البصري وسعيد بن جبير. وقيل: المراد بها البركة والكرامة[1].

وأما صلاة الملائكة فمعناها: الدعاء له عليه السلام والاستغفار لأمته، وعلى جميع الأقوال فالصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة.

ولما جاء اللفظ مجموعاً مضافاً إلى واو الجماعة: (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي)، وكانت الصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة لذلك فقد اختلف المفسّرون في تأويل الآية على أقوال:

(أ) فذهب بعضهم إلى أنّ في الآية حذفاً دلّ عليه السياق تقديره: إن الله يصلي على النبي، وملائكته يصلون على النبي، فتكون واو الجماعة راجعة إلى الملائكة خاصة، ويؤيد هذا قراءة الرفع (وملائكتُه) وليس اللفظ مشتركاً بين الله تعالى وملائكته.

(ب) وذهب بعضهم إلى أنه من باب (الجمع بين الحقيقة والمجاز)

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/٣٩٨.

وهو اختيار الفخر الرازي[1] ومذهب الإمام الشافعي رحمه الله، فعنده يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه معاً كما يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز، فيكون لفظ (يُصلُّون) عائداً إلى الله وإلى الملائكة بالمعنيين معاً ويصبح معنى الآية: إن الله تعالى يرحم نبيّه، وملائكته يدعون له.

(ج) وذهب جماعة إلى القول بأنه من باب (عموم المجاز) لا من باب (الجمع بين الحقيقة والمجاز) فيقدّرون معنى مجازياً عاماً، ينتظم أفراداً كثيرة يشملها هذا اللفظ، وهذا المعنى العام هو مثلاً (العناية بشأن النبي) ﷺ فالاعتناء يكون من الله تعالى على وجه، ويكون من الملائكة على وجه آخر، وهذا اختيار أبي السعود وأبي حيان والزمخشري، وغيرهم من مشاهير المفسرين.

قال أبو السعود: قوله تعالى: ﴿يصلون على النبي﴾ قيل: الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، وقال ابن عباس: أراد أن الله يرحمه، والملائكة يدعون له... فينبغي أن يراد في (يصلّون) معنى مجازي عام، يكون كل واحد من المعاني المذكورة فرداً حقيقياً له، أي يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره، ويهتمون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، وذلك من الله سبحانه بالرحمة، ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار[2].

وقال أبو حيان في البحر المحيط: (وصلاة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا؟ والجواب: اشتركا في قدْرٍ مشترك وهو إرادة وصول الخير إليهم، فالله تعالى يريد برحمته إياهم وصول الخير إليهم، والملائكة يريدون بالاستغفار ذلك)[3].

---

(١) انظر تفسير الفخر ٦/٧٨٧.

(٢) تفسير أبي السعود ٦/٧٩٩ على هامش الفخر الرازي.

(٣) البحر المحيط ٧/٢٣٧، عند قوله تعالى: ﴿هو الذي يصلّي عليكم وملائكته﴾، من سورة الأحزاب.

الحكم الثالث: هل الصلاة على النبي ﷺ على سبيل الندب أو الفرض والإلزام؟

أمر الله سبحانه المؤمنين بالصلاة على نبيه الكريم، وهذا الأمر للوجوب فتكون الصلاة على النبي ﷺ واجبة، ويكاد العلماء يجمعون على وجوب الصلاة والتسليم عليه مرّة في العمر، بل لقد حكى (القرطبي) الإجماع على ذلك، عملاً بما يقتضيه الأمر (صلّوا) من الوجوب، وتكون الصلاة والسلام في ذلك كالتلفظ بكلمة التوحيد، حيث لا يصح إسلام الإنسان إلا بالنطق بها.

وقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على النبي ﷺ هل تجب في كل مجلس، وكلما ذكر اسمه الشريف ﷺ؟ أم هي مندوبة؟ وذلك بعد اتفاقهم على أنها واجبة في العمر مرة.

(أ) فقال بعضهم: إنها واجبة كلّما ذُكر اسم النبي عليه السلام.

(ب) وقال آخرون: تجب في المجلس مرة واحدة ولو تكرّر ذكره عليه السلام في ذلك المجلس مرات.

(جـ) وقال آخرون: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد أو مجلس، ويكفي أن يكون في العمر مرة.

وحجة القائلين بالوجوب في المجلس، أو كلما ذكر اسم الرسول عليه الصلاة والسلام، أن الله عز وجلّ أمر بها، والأمر يفيد التكرار، ثمّ ما ورد من الوعيد الشديد لمن لم يصلّ على رسول الله عليه السلام، كقوله: «البخيل الذي من ذُكِرتُ عنده فلم يُصلِّ عليّ»[1]، وقوله عليه السلام: «ما من قوم يجلسون في مجلسٍ ثم يقومون منه لا يذكرون الله ولا يصلُّون على نبيه إلّا كان ترَةً[2] عليهم يوم القيامة».

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٤٠)، وأحمد في المسند، وهو حديث حسن بطرُقه وشواهده، وقد تقدم ٢/٣٣٩.

(٢) ترة: أي حسرة وندامة، والحديث أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (٣٣٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقول جبريل للنبي عليه السلام: (بَعُدَ من ذكرتَ عنده فلم يصلّ عليك، فقلت آمين)[1].

فهذه تفيد الوجوب عندهم.

وذهب جمهور العلماء إلى أن الصلاة على النبي ﷺ قربة وعبادة، كالذكر والتسبيح والتحميد، وأنها واجبة في العمر مرة، ومندوبة ومسنونة في كل وقت وحين، وأنه ينبغي الإكثار منها لما صحّ عنه ﷺ أنه قال:

«من صلى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً»[2] وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الشهيرة في فضل الصلاة على النبي عليه السلام. فهي مطلوبة ولكن لا على سبيل (الوجوب) بل على سبيل (الندب) والاستحباب.

قال العلامة أبو السعود: (والذي يقتضيه الاحتياط، ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه الصلاة والسلام، أن يُصلَّى عليه كلما جرى ذكره الرفيع)[3].

وما ذهب إليه الجمهور هو الأصح والأرجح والله تعالى أعلم.

الحكم الرابع: هل تجب الصلاة على النبي عليه السلام في الصلاة؟

اختلف الفقهاء في حكم الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة على مذهبين:

(أ) مذهب الشافعي وأحمد: أنها واجبة في الصلاة ولا تصح الصلاة بدونها.

(ب) مذهب مالك وأبي حنيفة: أنها سنّة مؤكدة في الصلاة وتصح الصلاة بدونها مع الكراهة والإساءة.

---

(١) هذا طرف من حديث رواه الطبراني في المعجم الكبير عن كعب بن عجرة، ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ١٠/١٦٦.

(٢) رواه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨)، بلفظ: «من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً». وأخرجه النسائي ٣/٥٠، والترمذي برقم (٤٨٥)، وأبو داود برقم (١٥٣٠) في الصلاة.

(٣) تفسير أبي السعود ٦/٨٠٠.

أدلّة الشافعية والحنابلة:

استدل الشافعية والحنابلة على أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة في الصلاة بأدلة نوجزها فيما يلي:

(أ) الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه﴾ والأمر يقتضي الوجوب، ولا وجوب في غير التشهد، فتكون الصلاة على النبي واجبة في الصلاة.

(ب) حديث كعب بن عجرة: : (قلنا يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. . .) الحديث وقد تقدم.

قال ابن كثير رحمه الله: (ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصحّ صلاته، وهو ظاهر الآية، ومفسّر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة، وهو مذهب الإمام أحمد، وإليه ذهب ابن مسعود، وجابر بن عبد الله)[1].

أدلّة المالكية والأحناف:

واستدل المالكية والأحناف على مذهبهم ببضعة أدلة نوجزها فيما يلي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه﴾ قالوا: قد تضمنت هذه الآية الأمر بالصلاة على النبي ﷺ وظاهره يقتضي الوجوب، فمتى فعلها الإنسان مرة واحدة في صلاةٍ أو غير صلاة فقد أدّى فرضه، وهو مثل كلمة التوحيد والتصديق بالنبي ﷺ متى فعله الإنسان مرة واحدة في عمره فقد أدى فرضه، والأمر يقتضي الوجوب لا التكرار.

(ب) حديث ابن مسعود حين علّمه ﷺ التشهد فقال: (إذا فعلتَ هذا، أو قلتَ هذا، فقد تمت صلاتك، فإن شئت أن تقوم فقم، ثم اختر من أطيب الكلام

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥١٦ باختصار، وانظر تفسير ابن الجوزي، والفقه على المذاهب الأربعة.

ما شئت)[1]. ولم يأمره بالصلاة على النبي عليه السلام.

(ج) حديث معاوية بن الحَكَم السُّلَمي وفيه أن النبي ﷺ قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتهليل وقراءة القرآن»[2]. ولم يذكر الصلاة على النبي ﷺ.

(د) ما روي عن كثير من الصحابة أنهم كانوا يكتفون بالتشهد في الصلاة وهو: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ولا يوجبون الصلوات الإبراهيمية.

قال أبو بكر الرازي[3]: (وزعم الشافعي أن الصلاة على النبي ﷺ فرض في الصلاة، وهذا قول لم يسبقه إليه أحد من أهل العلم ـ فيما نعلمه ـ وهو خلاف الآثار الواردة عن النبي ﷺ لفرضها في الصلاة...)[4].

ثم ساق بعض الأدلة في تفسيره أحكام القرآن ـ وقد ذكرنا بعضها ـ ثم قال: وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة في شرح مختصر الطحاوي.

قال ابن كثير ٣/٥١٦: وقد شرع بعض المتأخرين يخطِّىء الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة، ويزعم أنه قد تفرَّد بذلك، وأن الإجماع على خلافه، وقد تعسَّف هذا القائل في ردِّه على الشافعي، وقال ما لم يُحِطْ به علماً، فإنا قد

---

(١) رواه النسائي ٢/٢٣٧، في الافتتاح، والترمذي برقم (٢٨٩) في الصلاة، وأبو داود برقم (٩٦٨)، وانظر تمام الحديث في جامع الأصول، لابن الأثير الجزري ٥/٣٩٨.

(٢) هذا طرف من حديث رواه مسلم ١/٣٨١ عن معاوية بن الحكم السلمي، ولفظه قال: «بينا أنا أُصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك اللّٰه، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكلَ أُمِّياهْ ـ أي فقدتني أمي ـ ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتوني لكني سكتّ، فلما صلَّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني وإنما قال: إن هذه الصلاة...» الحديث.

(٣) هو المشهور بالجصاص من فقهاء الأحناف.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٧٠.

روينا وجوب ذلك في الصلاة عن جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين الشعبيُّ ومقاتل بن حيان، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً، وللقول بوجوبه ظواهر الحديث ــ والله أعلم ــ والغرضُ أن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة، لا قديماً ولا حديثاً، والله أعلم.

الحكم الخامس: هل تجوز الصلاة على غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

يرى بعض العلماء أن الصلاة تجوز على غير الأنبياء، لأن الصلاة معناها الدعاء، والدعاء يجوز للأنبياء ولغير الأنبياء، واستدلوا بما ورد عنه ﷺ من قوله: «اللهمّ صلِّ على آل أبي أوفى».

وذهب الأكثرون إلى أن الصلاة (شعار) وهي خاصة بالأنبياء، فلا تجوز لغيرهم فلا يصح أن تقول: اللهم صلِّ على الشافعي مثلاً أو على أبي حنيفة، وإنما تترحم عليهما، ويجوز الترضي عن الصحابة والتابعين ولا تجوز الصلاة عليهم لأنها شعار الأنبياء والمرسلين.

قال العلّامة أبو السعود: (وأمّا الصلاة على غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فتجور تبعاً، وتكره استقلالاً، لأنه في العرف شعار ذكر الرسل، ولذلك لا يجوز أن يقال: «محمدٌ عزَّ وجل» مع كونه ﷺ عزيزاً جليلاً)[1].

والمراد بقوله تبعاً أن تقول مثلاً: اللهم صلِّ على محمد وآله وذريته وأتباعه المؤمنين فلا يصح أن تقول: اللهم صلِّ على ذرية محمد، ولا اللهم صلِّ على أزواج محمد، وإنما إذا صليت على الرسول يجوز لك أن تضيف تبعاً من شئت من عباد الله الصالحين. والله أعلم.

---

(١) تفسير أبي السعود ٦/٨٠٠.

ما ترشد إليه الآيات الكريمة

١ ــ منصب النبوة منصب عظيم، ومكانة الرسول مكانة عظيمة عند الله تعالى.

٢ ــ ثناء الله عز وجل على نبيه الكريم وثناء الملائكة الأطهار مظهر من مظاهر رفعة الرسالة.

٣ ــ احترام الرسول وتعظيم أمره واجب على المؤمنين لأنه من تعظيم أمر الله وطاعته جلّ وعلا.

٤ ــ الصلاة على الرسول ﷺ ينبغي أن تكون بالصيغة الشرعية «اللهم صل على محمد» . . . إلخ.

٥ ــ يندب للمسلم أن يصلي على الرسول كلما ذكر اسمه الشريف ﷺ امتثالاً للأمر الإلهي.

٦ ــ إيذاء الرسول ﷺ إيذاء لله تعالى وهو سبب لسخط الله وغضبه.

٧ ــ إيذاء المؤمنين واتهامهم بما ليس فيهم من الكبائر التي ينبغي أن يبتعد عنها المسلم.

* * *

خاتمة البحث:

حكمة التشريع

مجّد الله رسوله ﷺ، وأثنى عليه الثناء العاطر، ورفع مكانته على جميع الأنبياء والمرسلين، وأحله المحل الرفيع الذي يليق بمنزلته السامية، ومرتبته العالية، وأمر المؤمنين بالتأدب مع الرسول الكريم، وبتعظيم أمره، وتمجيد شأنه، وصلى عليه في الملأ الأعلى مع الملائكة الأطهار، وكل ذلك ليعلّم المؤمنين مكانة هذا النبي العظيم، ليجلّوه ويحترموه، ويطيعوا أمره لأنه سبب سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه، وتسبّحوه بكرة وأصيلاً﴾.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصلاة على الرسول الكريم، وجعل ذلك فرضاً لازماً لا يتم إيمان بدونه، وحرّم إيذاءه بالقول أو الفعل، ونهى عن كل ما يمسّ مقامه الشريف من إساءة أو عدوان، وجعل ذلك إيذاءً له تعالى، لأنّ في تكذيبه ﷺ تكذيباً لله تعالى، وفي الاستهزاء بدعوته استهزاءً بالله تعالى، لأنه رسول رب العالمين، فيجب أن يُطاع في كل أمر، وأن يحترم قوله لأنه مبلّغ عن الله وصدق الله حيث يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.

وقد حكم الله جلّ وعلا باللعنة والغضب على من آذى الرسول عليه السلام، لأنه كفرانٌ للنعمة، وجحودٌ للفضل الذي أسداه الرسول ﷺ لأمته، وكيف يليق بالمؤمن أن يؤذي رسول الله مع أنه صلوات الله عليه سبب لإنقاذنا من الضلالة، وإخراجنا من الظلمات إلى النور؟! وهو باب الرحمة الإلهية، ومظهر الفضل والإحسان والجود: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وصدق من قال:

إذا الله أثنى بالذي هو أهلُه عليه، فما مقدارُ ما تمدح الورى؟

* * *